ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (2025) Vol (16) Issue (12) section (1) : 114-140
DOI: https://doi.org/10.25130/jis.25.16.12.1.6

The Ethical Conception in the Thought of Imam Al-Ghazali and Sheikh Abdul Qadir Al-Kilani: A Comparative Study

Dr. Nour Samir Younis Muhammad *1a

a) Department of Sharia , College of Islamic Sciences, University of Mosul, Iraq .

KEY WORDS:

Ethical conception – Islamic thought – Imam Al-Ghazali – Sheikh Abdul Qadir Al-Kilani – Sufism – Morality.

ARTICLE HISTORY:

Received: 7/ 10/2025

Accepted: 26 / 10 / 2025

Available online: 1 / 12/2025

©2022 COLLEGE OF ISLAMIC SCIENCES ISLAMIC SCIENCES JOURNAL , TIKRIT UNIVERSITY. THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

ABSTRACT

Scholars of Sufism, jurisprudence, and Islamic philosophical thought have collectively contributed essentially to developing a comprehensive ethical system integrating theoretical foundations with practical applications. This study aims to uncover the features of the ethical conception in the thought of both Imam Al-Ghazali and Sheikh Abdul Qadir Al-Kilani by tracing the intellectual and epistemological foundations each started from, analyzing the central values forming the core of their ethical systems, and then conducting a critical comparison revealing points of convergence and divergence between them. The research is divided into three main sections, each including three topics, followed by a conclusion summarizing the primary findings. Among these findings: the ethical systems of both Imam Al-Ghazali and Sheikh Abdul Qadir Al-Kilani originate from a common Islamic reference framework, where the Quran and the prophetic Sunnah form the basis of every virtue and ethical behavior. Imam Al-Ghazali combined the philosophical rational method with Sufism, focusing on the analysis of the self and the ranks of virtues, while Sheikh Al-Kilani emphasized the practical, educational, and sermonic approach to applying ethics in daily life. The key recommendations include advocating reliance on blending Al-Ghazali's intellectual depth with Al-Kilani's practical approach in designing modern ethical education programs, and developing curricula and educational programs aimed at fostering honesty, sincerity, humility, asceticism, patience, and reliance on God within students and society.

*Corresponding author: E-mail: **nsy2741@gmail.com**

التصور الأخلاقي في فكر الإمام الغزالي والشيخ عبد القادر الكيلاني: دراسة مقارنة

م.د. نور سمير يونس محمد
a) قسم الشريعة , كلية العلوم الإسلامية , جامعة الموصل , العراق.

الخلاصة:

شكّل علماء التصوف والفقه والفكر الفلسفي الإسلامي رافداً أساسياً في تطوير منظومة أخلاقية متكاملة جمعت بين الأسس النظرية والتطبيقات العملية. وهدف البحث إلى الكشف عن ملامح التصور الأخلاقي عند كل من الإمام الغزالي والشيخ عبد القادر الكيلاني، من خلال تتبع الأسس الفكرية والمعرفية التي انطلق منها كل واحد منهما، وتحليل القيم المركزية التي شكّلت جوهر منظومتهما الأخلاقية، ثم إجراء مقارنة نقدية تكشف أوجه الالتقاء والاختلاف بينهما، وذلك من خلال تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث كل واحد منها اشتمل على ثلاثة مطالب، وأخيرا خاتمة ذكرتُ فيها أبرز النتائج، منها: أنَّ المنظومة الأخلاقية لكل من الامام الغزالي والشيخ عبد القادر الكيلاني، انطلقت من المرجعية الإسلامية المشتركة، حيث يشكّل القرآن الكريم والسنة النبوية أساس كل فضيلة وسلوك أخلاقي. وجمع الامام الغزالي بين المنهج العقلي الفلسفي والتصوف، مع التركيز على تحليل النفس ومراتب الفضائل، بينما الشيخ الكيلاني ركّز على المنهج العملي التربوي والوعظي لتطبيق الأخلاق في الحياة اليومية. أما التوصيات فكان أبرزها: أنَّ يُنصح بالاعتماد على الجمع بين العمق الفكري للغزالي والبعد العملي للكيلاني في تصميم برامج التربية الأخلاقية الحديثة. وتطوير مناهج تعليمية وبرامج تربوية تهدف إلى تنمية الصدق، والإخلاص، والتواضع، والزهد، والصبر، والتوكل في نفوس الطلاب والمجتمع.

الكلمات المفتاحية : التصور الأخلاقي – الفكر الإسلامي– الإمام الغزالي – الشيخ عبد القادر الكيلاني – التصوف – الأخلاق.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

يُعَدّ التصور الأخلاقي في الفكر الإسلامي من أبرز المرتكزات التي أسهمت في صياغة الهوية القيمية والحضارية للأمة، إذ ارتبطت الأخلاق في الوعي الإسلامي بالغاية الكبرى المتمثلة في عبادة الله سبحانه وتعالى وعمارة الأرض وفق منهج الشريعة، وقد شكّل علماء التصوف والفقه والفكر الفلسفي الإسلامي رافداً أساسياً في تطوير منظومة أخلاقية متكاملة جمعت بين الأسس النظرية والتطبيقات العملية. وفي هذا الإطار يبرز كلٌّ من الإمام أبو حامد الغزالي (ت: 505هـ) والشيخ عبد القادر الكيلاني (ت: 561هـ) باعتبارهما من أعلام الفكر الإسلامي الذين وضعوا بصماتهم الواضحة في مجال تهذيب النفس وتربية الإنسان على قيم الصدق والإخلاص والتوكل والزهد.

وقد تميز الغزالي بمنهجه العقلي والفلسفي الممزوج بالتصوف، حيث سعى إلى إقامة جسر بين العقل والشرع من جهة، والتزكية الباطنية من جهة أخرى، فكانت أخلاقياته نتاج رؤية معرفية شمولية استندت إلى القرآن والسنة وأصول الفقه وعلم الكلام والتصوف. أما الكيلاني فقد اتخذ منحى عملياً وعظياً ركّز فيه على البعد السلوكي والتربوي للأخلاق، فجعل من المجاهدة والورع والزهد وسائل مباشرة لتزكية النفس وبناء الشخصية المؤمنة المتوازنة، مؤطراً ذلك ضمن إطار التصوف البعيد عن الغلو الفلسفي.

أولاً: أهمية البحث:

1- تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول جانباً محورياً في الفكر الإسلامي يتمثل في التصور الأخلاقي عند اثنين من أعلامه الكبار، الإمام الغزالي والشيخ عبد القادر الكيلاني، حيث يتيح الوقوف على إسهاماتهما في بناء المنظومة الأخلاقية الإسلامية وإبراز الفروق المنهجية بين الطرح الفلسفي النظري عند الغزالي والطرح العملي التربوي عند الكيلاني.

2- كما تبرز أهميته في أنه لا يقتصر على الدراسة التاريخية لشخصيتين بارزتين، بل يتجاوز ذلك إلى بيان الأثر العميق لفكرهما في تشكيل التيارات الأخلاقية والتربوية في التراث الإسلامي، وإظهار إمكانية الإفادة من تكاملهما في مواجهة التحديات القيمية التي تعيشها المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

3- يمثل البحث كذلك إضافة علمية في مجال الدراسات المقارنة، من خلال تحليل نقدي يسعى إلى إبراز عناصر القوة والقصور في كلا التصورين، بما يمنح الباحثين والمهتمين مرجعاً يمكن أن يسهم في تطوير الرؤية الأخلاقية الإسلامية في بعدها الفكري والعملي.

ثانياً: هدف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن ملامح التصور الأخلاقي عند كل من الإمام الغزالي والشيخ عبد القادر الكيلاني، من خلال تتبع الأسس الفكرية والمعرفية التي انطلق منها كل واحد منهما، وتحليل القيم

المركزية التي شكّلت جوهر منظومتهما الأخلاقية، ثم إجراء مقارنة نقدية تكشف أوجه الالتقاء والاختلاف بينهما. كما يسعى البحث إلى إبراز الأثر الذي تركه الغزالي في البناء الفلسفي والتصوفي للأخلاق، مقابل أثر الكيلاني في التيار العملي الوعظي والتربوي، وصولاً إلى إبراز إمكانية التكامل بين المدرستين في صياغة رؤية أخلاقية معاصرة قادرة على الاستجابة لتحديات الواقع الإسلامي الراهن.

ثالثاً: إشكالية البحث:

يُعَدّ التصور الأخلاقي عند علماء الإسلام من القضايا الجوهرية التي أسهمت في صياغة الفكر القيمي والروحي للأمة. ويبرز الإمام الغزالي والشيخ عبد القادر الكيلاني كمدرستين متمايزتين في تناول موضوع الأخلاق، ومن هنا تبرز إشكالية البحث في محاولة فهم أوجه الالتقاء والافتراق بين التصورين الأخلاقيين، والوقوف على القيمة الفكرية والتربوية لهذا التنوع في إطار النهضة الأخلاقية المعاصرة.

رابعاً: اسئلة البحث:

ويمكن صياغة إشكالية البحث في التساؤلات الآتية:

1- ما طبيعة التصور الأخلاقي عند كل من الإمام الغزالي والشيخ عبد القادر الكيلاني؟
2- ما أوجه الالتقاء والافتراق بينهما؟
3- ما أثر ذلك الالتقاء والافتراق في تشكيل الفكر الأخلاقي الإسلامي؟

خامساً: منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال استقراء النصوص والمصنفات الأساسية لكل من الإمام الغزالي والشيخ عبد القادر الكيلاني المتعلقة بالأخلاق والتصوف، وتحليل مضامينها للكشف عن الأسس الفكرية والقيم المركزية التي قامت عليها منظومتهما الأخلاقية. كما يوظف البحث المنهج الموازن لموازن التصورين من حيث المرجعية والمنهج والمضمون، بغية تحديد أوجه الالتقاء والافتراق بينهما، وصولاً إلى تقييم نقدي يوضح أثرهما في مسار الفكر الأخلاقي الإسلامي.

سادساً: خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث ومادته العلمية على ان ينتظم عقده في: مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

تناول المبحث الأول الأسس الفكرية والتصورية للأخلاق عند الغزالي والكيلاني، وانقسم إلى ثلاثة مطالب، اشتمل المطلب الأول على: المفهوم العام للأخلاق في الفكر الإسلامي. والثاني على: الأسس المعرفية والأصولية للأخلاق عند الإمام الغزالي، أما المطلب الثالث فاشتمل على: الأسس المعرفية والأصولية للأخلاق عند الشيخ عبد القادر الكيلاني.

وجاء المبحث الثاني ليبحث عن: القيم الأخلاقية المركزية في فكر الغزالي والكيلاني، وقد اشتمل على ثلاثة مطالب: المطلب الأول تكلم عن: قيمة الصدق والإخلاص، والمطلب الثاني تكلم عن: قيمة التواضع والزهد، أما المطلب الثالث فتكلم عن: قيمة الصبر والتوكل.

أما المبحث الثالث فقد تناول الحديث عن: المقارنة والتحليل النقدي للتصور الأخلاقي عند الغزالي والكيلاني، وذلك في ثلاثة مطالب، المطلب الأول: درس نقاط الالتقاء في التصور الأخلاقي،

والثاني درس: نقاط الافتراق في المنهج والمضمون، والمطلب الثالث درس: تقييم عام للتصورين وأثرهما في الفكر الإسلامي.

وأخيراً خاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات.

وقائمة فيها ثبت المصادر والمراجع

المبحث الأول: الأسس الفكرية والتصورية للأخلاق عند الغزالي والكيلاني

تقوم المنظومة الأخلاقية في الفكر الإسلامي على أسس راسخة تستمد مرجعيتها من القرآن الكريم والسنة النبوية، وتتغذى من جهود العلماء والفقهاء والمتصوفة الذين سعوا إلى صياغة رؤية متكاملة للإنسان في أبعاده العقلية والروحية والسلوكية. وفي هذا السياق يبرز الإمام الغزالي والشيخ عبد القادر الكيلاني باعتبارهما نموذجين متمايزين في تأسيس الفكر الأخلاقي، حيث جمع الغزالي بين الفلسفة والتصوف والفقه في بناء رؤية شمولية تجعل من العقل والشرع والتزكية الباطنية دعائم أساسية للأخلاق، في حين ركّز الكيلاني على البعد العملي التربوي للتصوف السني، مبرزاً أهمية الورع والزهد والمجاهدة باعتبارها وسائل مباشرة لتهذيب النفس وتربية السلوك.

المطلب الأول: المفهوم العام للأخلاق في الفكر الإسلامي

أولاً: مفهوم الأخلاق لغةً واصطلاحاً:

الأخلاقُ جمع خلق، والخلق- بضم اللَّام وسكونها-: وهو الدين والطبع والسجية[1]. قال ابن فارس: (خَلَقَ) الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملاسة الشيء، ومن ذلك الخلق، وهي السجية، لأن صاحبه قد قدر عليه[2].

وقال الاصفهاني: الخَلْقُ والخُلْقُ في الأصل واحد، لكن خُصَّ الخَلقُ بالهيئات والأشكال والصّور المدركة بالبصر، وخُصَّ الخُلُقُ بالقوى والسَّجايا المدركة بالبصيرة[3].

فمعنى الاخلاق في اللغة يدور حول: الدين، الطبع، السجية، تقدير الشيء، وملاسة الشيء.

---

(1) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط4 (1407هـ/ 1987م) 4/ 1471؛ لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت:711هـ) دار صادر- بيروت، ط3 (1414هـ) 10/ 86-87. مادة (خَلَقَ)؛ فلسفة الأخلاق عند أبي حامد الغزالي، محمد السيد عبد المنصف الوزير، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية (2022) المجلد (3) العدد (2)، ص 3.

(2) ينظر: مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت: 395هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط (1399هـ / 1979م) 2/ 213- 214. مادة (خَلَقَ).

(3) ينظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت:502هـ) تحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق/ بيروت، ط1 (1412هـ) ص297.

وفي الاصطلاح فإنَّ الأخلاق تُعرف بأنها: "مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس، وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح، ومن ثَمَّ يقدم عليه أو يحجم عنه "[1].

وذهب الغزالي إلى أنَّ الخُلق: " عبارة عن هيئةٍ في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويّة"[2].

وقال ابن مسكويه: " الخُلُقُ: حال للنفس داعية لها إلى أفعالها، من غير فكر ولا رؤية ولا روّية. وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله، ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه بالروّية والفكر، ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكة وخلقاً"[3].

يتضح من هذا أنَّ الأخلاق في التصور الإسلامي تتجاوز التعريف اللغوي أو النظري المجرد، لتصبح منظومة سلوكية متكاملة تنظم علاقة الإنسان بنفسه وبغيره وبخالقه، وهو ما سيتضح بجلاء في الفكر المقارن بين الإمام الغزالي والشيخ عبد القادر الكيلاني.

ثانياً: مصادر الأخلاق:

أولاً: القرآن الكريم:

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأول للأخلاق، إذ أنَّه يحتوي على العديد من الآيات الكريمة التي تمدح الأخلاق الحميدة وتُثيب عليها، وآيات تذم الأخلاق السيئة وتُعاقب عليها، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[5].

(1) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان (ت: 1435هـ) مؤسسة الرسالة– بيروت، ط9 (1421هـ/2001م) ص79.

(2) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ) دار المعرفة – بيروت، د.ط (د.ت) 3/ 53؛ عقيدة أهل السنة في آل البيت رضي الله عنهم، عبد الله إسماعيل، مجلة العلوم الإسلامية، (2017) العدد 37، ص 308.

(3) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت:421هـ) تحقيق: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط1 (د.ت) ص41.

(4) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(5) سورة النحل، الآية: ٩٠.

ثانياً: السنة النبوية:

اشار القرآن الكريم إلى أنَّ السنة النبوية هي المصدر الثاني للأخلاق، فقال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[1]. وقال تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[2].

فكل أقوال وأفعال وتقريرات النبي ﷺ هي مصدر تشريعي علينا اتابعها، والله عزَّ وجل وصف نبيه بأنَّه على خُلق عظيم، ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[3]. قال الحربي: " ينبغي للرجل إذا سمع شيئاً من آداب النبي ﷺ أن يتمسك به"[4].

والصحابة ﷺ تمسكوا بما رأوه من أخلاق حسنة، فعليه الصلاة والسلام قدوتنا وسلفنا الصالح في الأخلاق[5]. وقد استطاعوا في الفترة التي تلت وفاة الرسول ﷺ أن يقيموا حياتهم في المجتمع الإسلامي وفق منهجه ﷺ، وقد أمرنا الرسول ﷺ باتباع سنة الخلفاء الراشدين: (إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)[6]. ومما يدل على فضل الصحابة ﷺ أنَّ الله تعالى شهد لهم ورضي عنهم، واثنى عليهم في القرآن والكتب السابقة[7].

ثالثاً: الفطرة:

ذهب الماوردي إلى أنَّ الأخلاق تتشكل من مصدرين: الطبع والتطبع، فيقول في ذلك: " بعضها خُلق مطبوع وبعضها خُلق مصنوع؛ لأن الخُلق طبع وغريزة، والتخلق تطبع وتكلف "[8].

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(2) سورة الحشر، من الآية: ٧.

(3) سورة القلم، الآية: ٤.

(4) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت:463هـ) تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف– الرياض، د.ط (د.ت) 1/ 142.

(5) ينظر: موسوعة الأخلاق، خالد بن جمعة بن عثمان الخرَّاز، اهل الأثر– الكويت، ط1 (1430هـ– 2009م) ص31. ص31.

(6) سنن الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم الحديث (2676) 5/ 44. قال أبو عيسى: " هذا حديث حسن صحيح". الجامع الكبير، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت: 279 هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1 (1996 م).

(7) ينظر: تاريخ الفقه الإسلامي، الدكتور عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح– الكويت، ط1 (1402هـ–1982م) ص63– 64.

(8) تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد البصري البغدادي الماوردي (ت: 450هـ) تحقيق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية – بيروت (د.ت) ص8.

يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[1]، ويقول النبي ﷺ: (مَا مِنْ مولُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)[2]. فالإنسان قد فطره الله ﷻ على فطرة حب الخير والتحلي بالأخلاق الحميدة، وعلى ترك الأخلاق الرذيلة، ونبذ الشر.

ثالثاً: مكانة الأخلاق في المنظومة الإسلامية:

تُعَدّ الأخلاق الركيزة الأساسية التي تقوم عليها المنظومة الإسلامية، فهي الإطار الذي يضبط حركة الفرد والمجتمع ويمنحها بعداً إنسانياً وروحياً؛ فالشريعة الإسلامية لا تقتصر على تنظيم علاقة الإنسان بخالقه من خلال العبادات، بل تشمل أيضاً تنظيم سلوكه وعلاقاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهو ما يجعل الأخلاق لبّ الرسالة الإسلامية وروحها[3].

ولكن الإسلام ينظر إلى مكانة الأخلاق في الحياة الإنسانية من اعتبارات مختلفة، أهمها:

أولاً: الأخلاق الحسنة امتثال لأمر الله ورسوله:

نصت الكثير من الآيات القرآنية على الأمر بالتخلق بالأخلاق الحسنة[4]، قال تعالى:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[5].

وكان النبي ﷺ يحث المسلمين على الامتثال والتحلي بالأخلاق الحسنة الحميدة، وينهاهم عن الأخلاق الذميمة، (اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)[6].

ثانياً: تأثير الأخلاق على سلوك الإنسان:

يقول الغزالي: " إن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة"[7]. ولهذا كان النهج السديد في إصلاح الناس وتقويم سلوكهم وتيسير سبل الحياة الطيبة

(1) سورة الروم، من الآية: ٣٠.
(2) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم الحديث (1358) 2/ 94.
(3) ينظر: التحليل السيميوطيقي للخطاب الأخلاقي: دراسة نقدية للأسس والآليات، أ.د. نوال طه ياسين، مجلة الاستغراب– البصرة، سنة النشر (2024) العدد (36) ص 12.
(4) ينظر: موسوعة الأخلاق، القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، إشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، د.ط (د.ت) 13/1.
(5) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.
(6) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، رقم الحديث (1987) 3/ 423. قال ابو عيسى: (هذا حديث حسن صحيح). المصدر السابق، 3/ 424.
(7) إحياء علوم الدين، 3/ 59.

لهم أن يبدأ المصلحون بإصلاح النفوس وتزكيتها، وغرس معاني الأخلاق الجيدة فيها[1]. قال تعالى: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗا﴾[2]. فللأخلاق أهمية بالغة لما لها من تأثير كبير في سلوك الإنسان وما يصدر عنه.

ثالثاً: حاجة الإنسان إلى النظام الأخلاقي:

يحتاج الإنسان إلى نظام اخلاقي يحقق له حاجته الاجتماعية، ويوجهه إلى استخدام قواه في ميادين يعود نفعها على نفسه وعلى غيره بالخير؛ ولهذا أمر بالتعاون الاجتماعي في تحقيق الخيرات، ونهى عن التعاون في الإثم، ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾[3].

رابعاً: المكارم الأخلاقية ضرورة اجتماعية:

مكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية، لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بُدَّ منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا، وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار، ثم إلى الدمار.

وإذا كانت الأخلاق في أفراد الأمم تمثل معاقد الترابط فيما بينهم، فإن النظم الإسلامية الاجتماعية تمثل الأربطة التي تشدُ المعاقد إلى المعاقد، فتكون الكتلة البشرية المتماسكة القوية، التي لا تهون ولا تستخذي[4].

خامساً: أهمية الأخلاق في الدعوة إلى الله تعالى:

عن ابن عباس ﷺ قال: (لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾[5]، قَالَ الرَسُولُ ﷺ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)[6]. وقد بدأ انعكاس الصور السلوكية الرائعة في تأثيرها في انتشار هذا الدين في بعض المناطق التي لم يصلحها الفتح، إذ دخل في هذا الدين الحنيف شعوب بكاملها لما رأوا

(1) ينظر: اصول الدعوة، ص80.
(2) سورة الأعراف، من الآية: ٥٨.
(3) سورة المائدة، من الآية: ٢.
(4) ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم- دمشق، ط5 (1420هـ- 1999م) 1999م) 1/ 33-35.
(5) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.
(6) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا، رقم الحديث (4971) 6/ 179.

القدوة الحسنة مرتسمة خلقاً حميداً في أشخاص مسلمين صالحين، مارسوا سلوكهم الرشيد، فالتمسك بالأخلاق الحميدة هي اول ما يُرى من الإنسان المسلم ومن خلالها يحكم له أو عليه[1].

المطلب الثاني: الأسس المعرفية والأصولية للأخلاق عند الإمام الغزالي

أولاً: العلاقة بين العقل والشرع في بناء المنظومة الأخلاقية:

من الخصائص المميزة للمنظومة الأخلاقية الإسلامية أنها تجمع بين العقل والشرع باعتبارهما مصدرين متكاملين في تأسيس السلوك الإنساني؛ فالشرع يُقدِّم القيم والمعايير المطلقة التي تنظم حياة الإنسان وتحدد له ما ينبغي وما لا ينبغي، بينما يقوم العقل بوظيفة الإدراك والفهم والتأويل لتلك القيم في ضوء السياقات المتغيرة[2].

وقد اعتبر علماء المسلمين أن الشرع هو المرجع الأعلى الذي يضبط حركة العقل ويوجهه، لكنه في الوقت ذاته لا يلغي دوره، بل يدعوه إلى النظر والتأمل والتمييز بين الصواب والخطأ. وبذلك يتحقق التكامل بين النقل والعقل، فلا يُتصور بناء منظومة أخلاقية متكاملة بمعزل عن أحدهما[3].

وفي هذا الإطار، تُفهم الأخلاق الإسلامية باعتبارها نتاجاً لتفاعل مزدوج: من جهة، وحيٌ إلهي يحدد الأصول الكبرى مثل العدل والإحسان والرحمة؛ ومن جهة أخرى، جهدٌ عقلي يترجم هذه القيم إلى سلوكيات عملية وقوانين وضوابط تناسب حياة الناس وظروفهم[4].

كما أن اعتماد العقل في إدراك مقاصد الشرع يُبرز الطابع المرن للأخلاق الإسلامية، فهي ليست جامدة أو منغلقة، بل قادرة على التكيف مع التغيرات الحضارية، مع المحافظة على أصولها الثابتة. ومن هنا برزت أهمية الاجتهاد والتأويل بوصفهما آليتين عقلانيتين لاستمرار حيوية الأخلاق عبر العصور.

ثانياً: دور التصوف في تهذيب النفس عند الغزالي:

يحتل التصوف مكانة محورية في مشروع الغزالي التربوي والأخلاقي، حيث اعتبره السبيل الأمثل لتهذيب النفس وتزكيتها. فالغزالي لم ينظر إلى التصوف على أنه مجرد طقوس أو مجاهدة روحية، بل رآه علمًا عمليًا يُعنى بصلاح القلب وتطهير الباطن من الأهواء والشهوات.

يؤكد الغزالي أن النفس الإنسانية بطبيعتها تميل إلى الشهوات والغرائز، ولا يمكن كبح جماحها إلا بالرياضة النفسية والمجاهدة الصوفية، التي تهدف إلى تحرير الإنسان من سلطان الدنيا وتوجيهه نحو

(1) موسوعة الأخلاق، خالد بن جمعة بن عثمان الخرَّاز، مكتبة أهل الأثر– الكويت، ط1 (1430هـ–2009م) ص39، 42– 43.

(2) ينظر: فلسفة الأخلاق، ص5.

(3)علم الأخلاق الإسلامي: النشأة والتطور، لخصاصي أمين، مجلة ليكسوس في التاريخ والعلوم الإنسانية، سنة النشر (2024) المجلد (1) العدد (55) ص 179.

(4) رسالة ماجستير: مصادر فلسفة الإمام أبي حامد الغزالي، الطالبة: حفيظة حمدون، المشرف: د. علي سعد الله ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية– الجزائر، سنة المناقشة (2015) ص 34.

الإخلاص والتقوى[1].

واعتمد الغزالي في تهذيب النفس على منهج متدرج يبدأ بالمراقبة والمحاسبة، ثم التوبة والتخلص من الصفات الذميمة كالحسد، الكبر، والرياء، ليصل الإنسان في النهاية إلى حالة من الصفاء الروحي والانكسار بين يدي الله[2]. فالتصوف عنده ليس نهاية، بل وسيلة ضرورية لإصلاح النفس وتحقيق الكمال الأخلاقي، وهو ما جعله يصرّح بأن: " العلم بلا عمل جنون، والعمل بلا علم لا يكون"[3]، في إشارة إلى التكامل بين المعرفة الروحية والسلوك العملي.

وقد ركّز على أنّ القلب هو مركز الأخلاق ومصدر السلوك، وأن صلاحه أساس صلاح الجوارح، مستشهداً بالحديث النبوي: (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ)[4]؛ ومن هنا اعتبر أنّ التزكية الروحية عبر الذكر والمحاسبة والمجاهدة هي السبيل الأمثل لبناء المنظومة الأخلاقية المتكاملة[5].

كما يرى الغزالي أنّ التصوف يمثّل الجانب العملي للأخلاق الإسلامية، فهو التطبيق العملي لمعاني الزهد، والتوكل، والإخلاص، والتواضع، وسائر الفضائل التي لا تُكتسب بالجدل العقلي بل بالممارسة الروحية والتدرّج في مقامات السالكين[6]. وهذا ما جعله يربط بين التجربة الصوفية والتأصيل الأخلاقي، حيث تترجم المعرفة الإلهية إلى سلوك واقعي يُهذّب النفس ويقومها على ميزان الشرع.

إنّ أهمية التصوف عند الغزالي تكمن كذلك في كونه منهجاً يدمج بين العقل والشرع والذوق الروحي، بحيث يجعل الأخلاق الإسلامية مشروعاً متكاملاً للتربية الفردية والإصلاح الاجتماعي معاً، فهو يرى أنّ تزكية الفرد هي المدخل الضروري لبناء مجتمع أخلاقي متوازن، وأن أي إصلاح اجتماعي لا يمكن أن ينجح دون تهذيب الباطن والوجدان[7].

---

(1) ينظر: احياء علوم الدين، 3/ 79-80.

(2) ينظر: نظرات في الأخلاق عند الغزالي، الدكتور عبد الرحمن محمد ربيعين، مجلة العلوم الاسلامية- تكريت، سنة النشر (2024) العدد (15) المجلد (9) ص305.

(3) ايها الولد، ابو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي (ت:505هـ) دار المنهاج- بيروت، ط2 (1435هـ-2014م) ص45.

(4) صحيح مسلم، كتاب البيوع، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم الحديث (1599) المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261 هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة، د.ط (1374 هـ - 1955 م) 50/5.

(5) ينظر: مصادر فلسفة الإمام أبي حامد الغزالي، ص 27.

(6) ينظر: النظرية التربوية للامام الغزالي، د. رفاء عبد اللطيف حسن، مجلة البحوث التربوية والنفسية، سنة النشر (2013) مجلد (10) العدد (36) ص 262.

(7) ينظر: الغزالي والاندلسيين مقاربات فلسفية، د. لسود محمد، المجلة التعليمية- الجزائر، سنة النشر (2023) العدد (1) المجلد (10) ص 14.

ثالثاً: مبدأ التزكية والنية والباطن عند الغزالي:

يُعَدّ مبدأ التزكية والنية والباطن من الركائز الأساسية في المنظومة الأخلاقية الإسلامية، إذ يركّز على إصلاح الداخل قبل إصلاح الظاهر؛ فالنية الصادقة هي معيار العمل، وقد قال النبي ﷺ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)[1]،

فالإمام الغزالي يرى أن أساس العمل الديني الحق لا يكمن في ظاهره فقط، بل في باطنه وروحه. ولهذا أسّس مشروعه التربوي والأخلاقي على ثلاث ركائز مترابطة: تزكية النفس، وتصحيح النية، ومراقبة الباطن.

1. التزكية:

التزكية عند الغزالي ليست مجرد ترك المعاصي، بل هي تطهير داخلي شامل، يهدف إلى إزالة الصفات المذمومة مثل: الحسد، الكِبر، الرياء، وحب الدنيا، واستبدالها بصفات محمودة كالزهد، التواضع والإخلاص، والخشية. وهي عنده شرط لنيل القرب من الله، لقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [2].

في إحياء علوم الدين، جعل الغزالي علم التزكية جزءًا من "علم الآخرة"، واعتبر الاشتغال به فرض كفاية إن قام به البعض سقط عن الآخرين، لكنه فرض عين على كل إنسان بما يتعلّق به من أمراض باطنية[3].

2. النية:

النية في فكر الغزالي هي معيار قبول العمل، بل هي جوهره الحقيقي، لأنها تعبّر عن الباعث الداخلي وهو يميز بين من يعمل لله ومن يعمل للناس، ويعتبر أن تصفية النية عمل دقيق، لا يتحقق إلا بالمجاهدة، والمراقبة الدائمة للنفس[4].

3. الباطن:

أولى الغزالي أهمية كبرى للباطن في كل مظاهر التدين، فهو يرى أن الإنسان قد يكون فاسد الباطن ولو كان مصلح الظاهر، وهذا من أعظم المهالك. ولهذا شدّد على ما سماه بـ "فقه الباطن"، أي فهم النفس والوقوف على خفاياها، ومراقبة دوافعها، لأن الرياء وحب المدح يمكن أن يفسدا العمل دون أن يشعر صاحبه[5].

---

(1) الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت: 256هـ) تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير– دمشق، ط5 (1414 هـ – 1993 م) رقم الحديث (1) 1/ 5.

(2) سورة الشمس، الآيتان: 9–10.

(3) ينظر: احياء علوم الدين، 2/ 307.

(4) ينظر: المصدر السابق، 4/ 362.

(5) ينظر: احياء علوم الدين، 1/ 267.

المطلب الثالث: الأسس المعرفية والأصولية للأخلاق عند الشيخ عبد القادر الكيلاني.

أولاً: الأخلاق في إطار التصوف السني:

يُعَدّ الشيخ عبد القادر الكيلاني واحداً من أبرز أعلام التصوف السني الذين جمعوا بين الفقه والروحانية، وجعلوا من الأخلاق محوراً مركزياً في تجربتهم التربوية والدعوية، فقد قدّم الكيلاني نموذجاً متوازناً للتصوف يقوم على الالتزام بالشريعة الإسلامية من جهة، وعلى التزكية الباطنية من جهة أخرى، ما جعله يختلف عن بعض النزعات الباطنية التي مالت إلى الانفصال عن ظاهر الشريعة[1].

وركز الكيلاني في خطبه ووصاياه على أنّ السلوك الأخلاقي الحق لا ينفصل عن التمسك بالقرآن والسنة، وأنّ الطريق الصوفي ليس بديلاً عن الشريعة بل تعبيرٌ عملي عنها، ومن هنا فإن تصوفه يمكن اعتباره تصوفاً سنياً يرفض الغلو ويدعو إلى الاعتدال، حيث جعل من الأخلاق العملية – كالصدق، والصبر، والتواضع، والزهد – ركائز أساسية في بناء الشخصية المؤمنة. وتبرز أهمية تصوف الكيلاني في كونه لم يحصر الأخلاق في البعد الفردي، بل وسّعها لتشمل البعد الاجتماعي، إذ دعا أتباعه إلى الرحمة بالخلق، والعدل في التعامل، ونبذ الظلم، والإحسان إلى الآخرين[2].

وهو بذلك وضع إطاراً أخلاقياً يربط بين إصلاح النفس وإصلاح المجتمع، بما ينسجم مع التصور السني الذي يرى الأخلاق جزءاً لا يتجزأ من مقاصد الشريعة.

ثانياً: التركيز على التوحيد والتوكل والزهد:

يحتل التوحيد عند الشيخ عبد القادر الكيلاني مكانةً جوهرية في بنيته الأخلاقية، إذ اعتبره الأساس الذي تُبنى عليه سائر الفضائل. فالتوحيد ليس مجرد إقرار عقائدي، بل هو وعي دائم بحضور الله في حياة الإنسان، وانعكاس هذا الوعي على سلوكه الظاهر والباطن. ومن ثمّ، فإن أي انحراف أخلاقي يُعزى عنده إلى ضعف التوحيد وغياب استحضار معانيه[3].

أما التوكل، فقد شكّل عند الكيلاني مبدأً أخلاقياً وعملياً في الوقت ذاته، حيث دعا أتباعه إلى الاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب؛ فالتوكل الصحيح عنده لا يعني التواكل أو ترك العمل، بل الانخراط في السعي الدنيوي مع تسليم النتائج إلى الله تعالى. وهذا الموقف جعل من التوكل فضيلة توازن بين الإيمان القلبي والسلوك العملي، وتمنح الإنسان شجاعة وثباتاً في مواجهة الابتلاءات[4].

---

(1) ينظر: جماليات المعنى التشبيهي في مواعظ الشيخ عبدالقادر الكيلاني، د. اسراء مؤيد رشيد، مجلة التراث العلمي العربي، سنة النشر (2022) المجلد (1) العدد (19) ص 12.

(2) ينظر: الفتح الرباني والفيض الرحماني، أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الكيلاني (ت:561هـ) المكتبة الأزهرية للتراث– القاهرة، د.ط (1994) ص 19.

(3) ينظر: جماليات المعنى التشبيهي، ص 16.

(4) ينظر: المصدر السابق، ص 17.

أما الزهد، فقد عُدّ عند الكيلاني طريقاً لإصلاح النفس وتحريرها من أسر الشهوات المادية، لا بغرض الانعزال عن المجتمع، بل من أجل إعادة ترتيب الأولويات وفق منظور أخلاقي وروحي؛ فالزهد عنده يعني امتلاك الدنيا باليد لا بالقلب، والتعامل معها بوصفها وسيلة لا غاية. وقد جعله بذلك شرطاً ضرورياً لصفاء الباطن وصدق التوجه إلى الله[1].

ومن خلال التركيز على هذه المبادئ الثلاثة – التوحيد والتوكل والزهد – صاغ الكيلاني نسقاً أخلاقياً متكاملاً يربط بين العقيدة والسلوك، وبين الباطن والظاهر، ليقدّم نموذجاً عملياً للأخلاق الصوفية السنية التي تسعى إلى بناء الفرد والمجتمع على أسس من الطهارة الروحية والالتزام الشرعي.

ثالثاً: دور المجاهدة والورع في بناء الشخصية الأخلاقية:

احتلّت المجاهدة والورع موقعاً محورياً في مشروع الشيخ عبد القادر الكيلاني الأخلاقي، إذ اعتبر أنّ بناء الشخصية المؤمنة لا يتحقق إلا من خلال مجاهدة النفس والهوى، والالتزام الصارم بالورع عن المحرّمات والشبهات؛ فالمجاهدة عنده هي المعركة الداخلية التي يخوضها المؤمن ضد نزعات الجسد والشيطان، وهي الطريق للوصول إلى الصفاء الروحي الذي يُثمر الأخلاق الفاضلة[2].

وقد شدّد الكيلاني على أنّ المجاهدة ليست مجرد ممارسة فردية، بل هي عملية متواصلة تتطلب صبراً ومراقبة دائمة للنفس، حيث ينظر الصوفي إلى قلبه بوصفه ساحة للتربية والإصلاح، وهذا ما جعله يربط بين المجاهدة وبين تزكية الباطن، باعتبارها الوسيلة الوحيدة لقطع الطريق نحو الكمال الأخلاقي.

أما الورع، فقد منحه الكيلاني منزلة رفيعة، ورآه شرطاً لتحقيق التزكية الحقيقية، فهو لا يقتصر على اجتناب المحرّمات الواضحة، بل يتعدى ذلك إلى ترك الشبهات والابتعاد عمّا قد يُعكّر صفاء النية. وبذلك يصبح الورع حصناً يحمي النفس من الانزلاق الأخلاقي، ويمنحها القدرة على الثبات أمام مغريات الدنيا[3].

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية المركزية في فكر الغزالي والكيلاني.

تحتل القيم الأخلاقية موقعاً محورياً في فكر كلٍّ من الإمام الغزالي والشيخ عبد القادر الكيلاني، إذ ينظران إليها بوصفها الغاية الأسمى للتدين والمفتاح لفهم جوهر التصوف الإسلامي؛ فالأخلاق عند الغزالي تقوم على تهذيب النفس وإصلاح الباطن عبر التزكية والمجاهدة، بما يجعل العمل نابعاً من نية صادقة وضمير حي، بينما يركّز الكيلاني على الجمع بين التوحيد والورع والزهد باعتبارها أساساً لبناء شخصية متوازنة تلتزم بالشريعة وتسمو بالروح. ومن خلال هذا التصور، تتكامل القيم الأخلاقية عندهما في رسم معالم مشروع تربوي وأخلاقي يسعى إلى تحقيق التوازن بين الظاهر والباطن، والفرد والمجتمع، ليؤكد أنّ الأخلاق ليست بعداً فرعياً في الدين، بل هي جوهره وروحه المحركة.

---

(1) ينظر: الشيخ عبد القادر الكيلاني ومنهجه في التربية والسلوك، د. عمر محمود حسين السامرائي، تقديم: د. جمال الدين فالح الكيلاني، دار الزنبقة– القاهرة، د.ط (1440هـ–2019م) ص275.

(2) ينظر: الفتح الرباني، ص 52.

(3) ينظر: علم الأخلاق الإسلامي، ص 177.

المطلب الأول: قيمة الصدق والإخلاص.

أولاً: مفهوم الصدق عند الغزالي والكيلاني:

يُعَدّ الصدق من القيم الأخلاقية المركزية التي أولى لها كلٌّ من الإمام الغزالي والشيخ عبد القادر الكيلاني عناية خاصة، إذ اعتبراه أساساً لمجمل السلوك الإنساني، وشرطاً لصفاء الباطن وصحة العلاقة مع الله؛ فالصدق عند الغزالي ليس مجرد مطابقة القول للواقع، بل هو حالة وجودية تشمل القول والعمل والنية معاً، بحيث يصبح الإنسان صادقاً مع نفسه وربه والناس على حد سواء وقد فرّق الغزالي بين مراتب الصدق، بدءاً من صدق اللسان، ومروراً بصدق النية والإرادة، وصولاً إلى الصدق في الأحوال والمقامات، وهو أرقى درجاته[1] .

أما الكيلاني فقد شدّد في خطبه ومواعظه على أنّ الصدق هو الميزان الحقيقي للإيمان، وأنّ كل دعوى بلا صدق باطنها باطل وظاهرها خداع؛ فالصدق عنده يتجاوز اللفظ ليشمل صفاء القلب ونقاء الضمير، ويصبح بذلك معياراً للتقوى وشرطاً لتحقيق الورع، وقد دعا مريديه إلى أن يكون الصدق سمتهم في العلن والسر، إذ لا قيمة للعمل بلا صدق يضبطه ويعطيه معناه[2] .

وبذلك يتضح أنّ الغزالي والكيلاني يلتقيان في اعتبار الصدق جوهر الأخلاق ولبّ التصوف السني، غير أنّ الغزالي ركّز على تحليله المفهومي والمراتب الباطنية، في حين قدّمه الكيلاني في صورة توجيهات عملية وتربوية تهدف إلى بناء شخصية المريد على أساس من الاستقامة والوفاء بالعهود.

ثانياً: أثر الإخلاص في تزكية النفس:

يُعدّ الإخلاص من أهم الأسس التي يقوم عليها البناء الأخلاقي في الفكر الإسلامي، وقد أولاه كل من الغزالي والكيلاني مكانة محورية باعتباره روح الأعمال وشرط قبولها عند الله تعالى؛ فالإخلاص يعني أن تكون النية خالصة لله دون رياء أو طلب لمدح الناس أو نيل مصالح دنيوية، وهو ما يجعل العمل متجرداً من شوائب الأهواء، ويعكس صفاء الباطن ونقاء المقصد.

ويرى الغزالي أن الإخلاص هو ثمرة المجاهدة الطويلة للنفس، إذ لا يتحقق بمجرد ادعاء أو رغبة، بل يتطلب مراقبة دقيقة للنية وتصفية القلب من العلل الخفية التي قد تفسد العمل. وهو يربط الإخلاص بالتزكية الداخلية التي تجعل القلب منفتحًا على معاني التقوى، فيصبح العمل الأخلاقي صادرًا عن إرادة نقية متصلة بالله تعالى[3]. وبهذا المعنى يصبح الإخلاص أداةً لحماية الأخلاق من التلوث بالمصالح الدنيوية أو التظاهر الاجتماعي.

---

(1) ينظر: فلسفة الأخلاق، ص 14؛ القيم الأخلاقية في سورة لقمان وأثرها في التوجيه التربوي للأبناء، الدكتورة وفاء كاظم سليم، مجلة كلية العلوم الإسلامية– تكريت، سنة النشر (2021) العدد (21) المجلد (7) ص352.

(2) ينظر: الفتح الرباني، ص219.

(3) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 380 ؛ التفسير الإشاري عند الإمام الغزالي من خلال كتابة إحياء علوم الدين دراسة تأصيلية نموذجية في التفسير الإشاري، الدكتور عمر ياسين طه حسين الملاح، مجلة العلوم الإسلامية– تكريت، سنة النشر (2020) العدد (11) المجلد (1) ص33.

أما الكيلاني، فقد ركّز على أن الإخلاص هو معيار العبودية الحقّة، وأنه لا قيمة لأي عبادة أو سلوك أخلاقي ما لم يكن خالصًا لله وحده. وهو يوضح أن تزكية النفس لا تُبنى على كثرة الطاعات فحسب، بل على مدى صفاء النية التي تحكم تلك الطاعات. فالإخلاص، في رؤيته، يحرر الإنسان من عبودية الخلق ويجعله عبدًا خالصًا لله، فيتجاوز حدود الظاهر إلى عمق الباطن[1] .

ويترتب على الإخلاص أثر بالغ في تهذيب النفس وتحريرها من الأهواء، حيث يحوّل العمل من مجرد عادة إلى عبادة، ومن مجرد التزام خارجي إلى تجربة روحية عميقة. وهكذا يصبح الإخلاص أساسًا ترتكز عليه القيم الأخلاقية الأخرى، مثل الصدق والعدل والرحمة، فلا يمكن أن تُمارس ممارسة صادقة ما لم يكن الدافع إليها خالصًا لله تعالى.

ثالثاً: الصدق في الاقوال والافعال والنيات:

يُعدّ الصدق من أعظم القيم الأخلاقية التي أولتها المنظومة الإسلامية أهمية بالغة، إذ لا يقتصر على صدق اللسان فحسب، بل يشمل مطابقة الباطن للظاهر، واستقامة الأفعال مع النيات. وقد أكّد الإمام الغزالي أن الصدق مراتب تبدأ من صدق اللسان، ثم صدق النية، ليصل إلى صدق العزم والوفاء بالعهد، معتبراً أن هذه الدرجات تشكّل مقياساً لسلامة القلب واستقامة العمل[2]. أما الشيخ عبد القادر الكيلاني، فقد ربط الصدق بالورع واليقين، ورأى أنّه شرط لصفاء القلب ووسيلة لرفع الحجب بين العبد وربه، بحيث يصبح الصادق في قوله وفعله ونيته موضع عناية إلهية خاصة[3]. ومن ثم، فإن الصدق في جميع مستوياته يُعتبر أساساً لبناء الشخصية الأخلاقية السليمة، وهو القيمة التي تُترجم الالتزام بالدين إلى سلوك عملي ملموس.

المطلب الثاني: قيمة التواضع والزهد.

أولاً: الزهد عند الغزالي: بين الفلسفة والتصوف:

يرى الإمام الغزالي أنّ الزهد ليس مجرّد تركٍ لملذّات الدنيا ومتعها، بل هو موقف وجودي ينبع من ترتيب أولويات القلب، بحيث يقدّم الآخرة على الدنيا، ويجعل رضا الله هو الغاية القصوى من العمل؛ فالزهد عنده لا يعني الانعزال التام عن العالم، بل التخفّف من التعلّق به، والقدرة على امتلاكه دون أن يستولي على القلب[4].

ومن هنا يتضح البعد الفلسفي لفكر الغزالي، إذ يعيد صياغة العلاقة بين الروح والمادة، ليجعلها علاقة تراتبية يسيطر فيها الباطن على الظاهر، وتُقاد فيها الرغبات بميزان العقل والشرع. وفي الوقت

(1) ينظر: الفتح الرباني، ص 47 – 48.

(2) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 389.

(3) ينظر: الفتح الرباني، ص 220.

(4) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 216.

نفسه، يتجلّى البعد الصوفي في هذا التصور من خلال التركيز على المجاهدة وتهذيب النفس، إذ يعدّ الغزالي أن مقام الزهد شرط أساس للارتقاء إلى مرتبة المعرفة بالله، ومرحلة ضرورية في سلّم السالكين[1].

ومن ثم، فإن الزهد عند الغزالي يجمع بين عمق الفلسفة الأخلاقية ودقة التجربة الصوفية، ليشكّل نموذجاً متكاملاً لبناء إنسان متوازن يعيش في الدنيا دون أن يسيطر حبّها على قلبه.

ثانياً: الزهد عند الكيلاني: موقف عملي وتربوي:

يُبرز الشيخ عبد القادر الكيلاني مفهوم الزهد باعتباره ممارسة عملية وتربوية أكثر من كونه تنظيراً فلسفياً؛ فالزهد عنده يتمثل في التحرر من التعلّق بمتاع الدنيا من خلال الورع، والمجاهدة المستمرة للنفس، والالتزام بالعبادة، مع التركيز على إخلاص النية في كل عمل[2]. ولم يكن الزهد عند الكيلاني دعوة للانعزال عن المجتمع أو ترك العمل، بل على العكس، فقد أكّد أنّ السالك لا بد أن يعيش بين الناس ويؤدي واجباته الدينية والاجتماعية، لكن دون أن يكون أسيراً لشهواته أو طامعاً في زخارف الدنيا.

ويظهر البعد التربوي لمفهوم الزهد عنده في تركيزه على إعداد المريدين والسالكين عبر المجالس الوعظية والتربية الروحية المباشرة، بحيث يُحوّل الزهد من مجرد قيمة فردية إلى سلوك جماعي يؤثر في إصلاح المجتمع. وهكذا فإن الزهد في فكر الكيلاني ليس موقفاً سلبياً أو انعزالياً، بل هو منهج عملي يهدف إلى تهذيب النفس، وتعزيز الورع، وبناء شخصية أخلاقية متوازنة تقوم على التوكل والتواضع، وترتبط بالمنظومة القيمية الإسلامية في بعدها العملي.

ثالثاً: التواضع كأصل جامع للفضائل:

يُنظر إلى التواضع في المنظومة الأخلاقية الإسلامية بوصفه قيمة محورية تُعَدّ أصلاً جامعاً لبقية الفضائل؛ فالتواضع يُطهِّر النفس من الكبر والغرور، ويجعل الإنسان أكثر قرباً من الناس، وأكثر قبولاً للحق، وأسرع استجابة للنصيحة[3].

وقد أكّد الإمام الغزالي أن التواضع هو ثمرة معرفة الإنسان بحقيقة نفسه وعجزه أمام الله، وهو بهذا المعنى يُمثل أساس كل تهذيب خلقي، إذ لا يمكن للصدق أو الإخلاص أو الزهد أن يستقيم بغير التواضع. وفي السياق ذاته[4].

شدّد الشيخ عبد القادر الكيلاني على أن التواضع هو السلوك العملي الذي يُترجم الزهد والورع في حياة المسلم اليومية، فالمريد لا يبلغ مقام القرب إلا إذا تواضع لله ولعباده، وجعل نفسه خادمة للخير والإصلاح [5].

---

(1) ينظر: التصوف عند الغزالي، ص 31.

(2) ينظر: الفتح الرباني، ص109.

(3) ينظر: الرذيلة الأخلاقية في التصوف الإسلامي، ص 61 – 62.

(4) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 368.

(5) ينظر: الفتح الرباني، ص110.

كما أن التواضع، في بعده التربوي، يُعدُّ مدخلاً لإصلاح العلاقات الاجتماعية، إذ يذيب الفوارق الطبقية، ويؤسس لمجتمع قائم على التعاون والإيثار، بعيداً عن الاستعلاء والتفاخر. ومن هنا، فإن التواضع ليس مجرد خُلق فردي، بل هو قاعدة جامعة تُنظم شبكة القيم الإسلامية، وتشكل حجر الزاوية في بناء الشخصية الأخلاقية المتوازنة.

المطلب الثالث: قيمة الصبر والتوكل.

أولاً: التوكل عند الغزالي: ضبط السلوك:

يُعَدّ التوكل عند الإمام الغزالي قيمة مركزية في البناء الأخلاقي، إذ يجمع بين البعد العقدي والسلوكي، فهو من جهة عقيدة راسخة تقوم على الإيمان بأن الله هو المتصرف في الكون، ومن جهة أخرى سلوك عملي ينعكس في تعامل المسلم مع شؤون حياته اليومية. يرى الغزالي أن التوكل ليس تخلياً عن العمل أو تقاعساً عن السعي، بل هو اعتماد القلب على الله مع بذل الجهد المشروع، بحيث يصبح التوكل ضابطاً يحول دون الانحراف إلى الإفراط في الأخذ بالأسباب أو التفريط فيها.

كما يوضح أن التوكل يحرر النفس من القلق والاضطراب، فيضبط سلوك الإنسان ويوجهه نحو الطمأنينة والثبات، مما يعزز فضائل أخرى مثل الصبر والرضا. وبذلك، فإن التوكل عند الغزالي يمثل توازناً دقيقاً بين الاعتماد على الله واستثمار طاقات الإنسان، ليكون سلوكاً أخلاقياً يرسخ مكانة المسلم في مجتمعه ويمنحه الاستقرار الروحي[1].

ثانياً: التوكل عند الكيلاني: ترك الحول والقوة الى الله:

يطرح الشيخ عبد القادر الكيلاني التوكل باعتباره حقيقة قلبية وسلوكاً عملياً يتمثل في التخلي عن الحول والقوة الذاتية، وتسليم الأمر كله لله تعالى. فالتوكل عنده ليس مجرد ثقة عاطفية، بل مقام إيماني عميق يُبنى على اليقين بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. ويرى أن التوكل يقتضي الجمع بين الأخذ بالأسباب المشروعة مع عدم الركون إليها، بحيث يُصبح القلب متحرراً من الاعتماد على الوسائط، ومتصلاً مباشرة بمشيئة الله وقدرته[2].

ومن هنا، يؤكد الكيلاني أن السالك لا يبلغ مرتبة التوكل الحقيقية إلا إذا صفّى قلبه من الشكوك، وقطع علائقه الدنيوية، فصار عمله كله لله. كما يربط بين التوكل والورع، باعتبار أن المتوكل الحق لا ينجرّ وراء الطمع أو الخوف من الفقر، وإنما يعيش الطمأنينة الداخلية التي تفتح له أبواب الصبر والرضا. وبذلك يشكل التوكل في فكر الكيلاني منهجاً تربوياً ووجدانياً يجعل العبد يعيش قوة روحية تتجاوز حدود الأسباب الظاهرة.

(1) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 245.

(2) ينظر: جماليات المعنى التشبيهي، ص 11-12.

ثالثاً: الصبر كعنصر مركزي في تزكية النفس:

يُعدّ الصبر في المنظومة الأخلاقية الإسلامية قيمة تأسيسية لا غنى عنها في طريق تزكية النفس، إذ يجمع بين البعد الإيماني والعملي. فهو من جهة مقام روحي يقوم على الرضا بقضاء الله والثبات على طاعته، ومن جهة أخرى سلوك تربوي يضبط الانفعالات ويوجّه الإرادة نحو الاستقامة.

ويرى الغزالي أن الصبر شرطٌ في كل فضيلة؛ فلا يتحقق الصدق أو الإخلاص أو الزهد إلا بالصبر على مجاهدة النفس وتحمل مشاق الطريق[1] .

وفي السياق ذاته، يربط الشيخ عبد القادر الكيلاني بين الصبر والورع، إذ يعتبر أن السالك لا يبلغ التوكل الحق إلا إذا صبر على الابتلاءات والفتن، فالصبر عنده هو جسر العبور نحو الرضا واليقين[2].

كما يُبرز البعد الاجتماعي للصبر من خلال أثره في ضبط العلاقات الإنسانية، حيث يحول دون النزاع والتنازع، ويُعين على التعايش والإصلاح. ومن ثم، يصبح الصبر عنصراً مركزياً في عملية التهذيب الأخلاقي، يُمكّن الفرد من مواجهة تحديات الحياة بروح ثابتة، ويُسهم في بناء شخصية متوازنة تسير على منهج الاستقامة.

المبحث الثالث: المقارنة والتحليل النقدي للتصور الأخلاقي عند الغزالي والكيلاني.

يُعدّ التصور الأخلاقي عند كلٍّ من الإمام أبي حامد الغزالي والشيخ عبد القادر الكيلاني من أبرز المساهمات في الفكر الإسلامي الوسيط، حيث جمع بين العمق العقدي والتجربة الصوفية والتطبيق العملي. وإذا كان الغزالي قد قدّم منظومة أخلاقية متكاملة تستند إلى التوفيق بين العقل والشرع وتُبرز دور الفلسفة والكلام في تهذيب النفس، فإن الكيلاني ركّز على الجانب التربوي العملي من خلال مجالس الوعظ والإرشاد، وإبراز أهمية المجاهدة والورع والزهد في الحياة اليومية. وتأتي هذه المقارنة لتكشف أوجه الالتقاء والافتراق بينهما، من حيث المنطلقات النظرية والأسس المعرفية، ومن حيث الأثر العملي في بناء الفرد والمجتمع.

المطلب الأول: نقاط الالتقاء في التصور الأخلاقي:

أولاً: المرجعية الإسلامية المشتركة:

ينطلق كلٌّ من الغزالي والكيلاني في بنائهما للتصور الأخلاقي من مرجعية إسلامية صافية قوامها القرآن الكريم والسنة النبوية، بوصفهما المصدرين الأساسيين للتشريع والهداية، فكلاهما يؤكد أن الأخلاق ليست نتاجاً فلسفياً محضاً ولا تجربة صوفية فردية، بل هي جزء من المنظومة الدينية التي ترسم حدود السلوك الإنساني وتوجّهه نحو الكمال الروحي والسلوكي.

وقد أظهر الغزالي في مؤلفاته –خاصة إحياء علوم الدين– أن كل فضيلة أخلاقية تستند إلى أصل شرعي، وأن تزكية النفس لا تنفصل عن التزام أوامر الله ونواهيه.

---

(1) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 61.

(2) ينظر: الفتح الرباني، ص44.

وبالمثل، شدّد الكيلاني في خطاباته الوعظية على أن طريق السلوك لا يقوم إلا بالتمسك بالكتاب والسنة، وجعل من الورع والزهد تجليات عملية لهذه المرجعية.

وهذا الالتقاء يعكس وحدة التصور الإسلامي للأخلاق، حيث تتكامل التجربة الفكرية الغزالية مع التربية الروحية الكيلانية في إطار جامع يجعل الشرع هو الضابط الأعلى للسلوك الفردي والجماعي.

ثانياً: اعتماد التصوف كمدخل للتهذيب:

يلتقي كلٌّ من الغزالي والكيلاني في اعتماد التصوف منهجاً رئيسياً للارتقاء الأخلاقي والسمو بالنفس.

فقد رأى الغزالي أنّ تهذيب الأخلاق لا يتم إلا عبر تزكية الباطن ومجاهدة النفس، وهو ما جعله يربط بين العلوم الشرعية والذوق الصوفي باعتباره طريقاً لتحقيق الإخلاص والورع.

وكذلك نجد الكيلاني يؤكد أنّ التصوف ليس انصرافاً عن الدنيا بقدر ما هو تدريب للنفس على التواضع، وضبط السلوك، والابتعاد عن الشهوات التي تُفسد القلب.

ومن ثمّ اتفق المفكران على أنّ إصلاح الأخلاق يبدأ من الداخل عبر تزكية الروح والالتزام بالمجاهدات الروحية والذكر والعبادة، مما يجعل التصوف أداة عملية لترسيخ القيم الإسلامية في السلوك الفردي والاجتماعي.

ثالثاً: الغاية الأخلاقية: الوصول إلى رضا الله:

يضع كلٌّ من الغزالي والكيلاني غايةً أخلاقية عليا تتمثل في السعي إلى رضا الله، حيث يشكّل هذا المقصد المحور الذي تنتظم حوله سائر القيم والسلوكيات؛ فالزهد، والتواضع، والصبر، والتوكل ليست غايات في ذاتها، وإنما وسائل لتطهير القلب والسمو بالروح حتى تصبح مهيأة للقرب من الله تعالى.

ويرى الغزالي أنّ العمل الأخلاقي لا يكتمل إلا إذا كان خالصاً لوجه الله بعيداً عن الرياء والمصلحة الشخصية.

بينما يركّز الكيلاني على التربية العملية التي تهدف إلى تصفية النية وتوحيد القصد، بحيث يتحوّل السلوك اليومي للفرد إلى عبادة متصلة.

ومن ثمّ فإن الالتقاء بينهما يتمثل في أنّ الأخلاق ليست مجرد منظومة سلوكية أو اجتماعية، بل هي طريق تعبدي يقود إلى رضوان الله والفوز بالآخرة.

المطلب الثاني: نقاط الافتراق في المنهج والمضمون.

أولاً: المنهج العقلي الفلسفي عند الغزالي مقابل المنهج العملي الوعظي عند الكيلاني:

يتباين منهج كلٍّ من الغزالي والكيلاني في معالجة القضايا الأخلاقية؛ فالغزالي ينطلق من منهج عقلي فلسفي يزاوج فيه بين المنطق والكشف الصوفي، محاولاً إقامة بناء معرفي متماسك يربط بين العقل والشرع والتجربة الروحية. فكتبه مثل إحياء علوم الدين وميزان العمل تقدم تصوراً نظرياً شاملاً للأخلاق، وتبحث في علل السلوك ومراتبه، مما يجعل منهجه أقرب إلى التنظير الفلسفي المتأثر بالعلوم العقلية.

أما الكيلاني، فقد اتجه إلى المنهج العملي الوعظي، حيث جعل من حلقات التدريس والخطابة وسيلة لترسيخ القيم الأخلاقية في نفوس العامة والخاصة. فخطابه يتسم بالتركيز على الممارسة والتجربة الروحية المباشرة، وإعطاء أمثلة عملية من حياة الصالحين وأثر المجاهدة والزهد.

ومن هنا يمكن القول إن الغزالي أقام مشروعاً نظرياً ممنهجاً، بينما الكيلاني انصرف إلى التطبيق التربوي والوعظي الذي يخاطب الوجدان ويهذب السلوك في الواقع اليومي.

ثانياً: الفروق في ترتيب الأولويات الأخلاقية:

رغم وحدة المرجعية الإسلامية لدى كلٍّ من الغزالي والكيلاني، إلا أن ترتيب الأولويات الأخلاقية عندهما يكشف عن اختلافات واضحة؛ فالغزالي ركّز على إصلاح الباطن باعتباره أساساً لكل سلوك خارجي، فجعل النية والإخلاص محوراً رئيساً لبناء المنظومة الأخلاقية، مؤكداً أن صلاح القلب شرط لصدق القول والعمل. كما أولى اهتماماً كبيراً بمقاصد الأخلاق المرتبطة بالمعرفة واليقين، مما جعله يقدّم الجانب المعرفي والتحليلي على غيره.

أما الكيلاني، فقد قدّم البعد العملي التربوي في سلّم الأولويات، فركّز على الصدق والتواضع والزهد كقيم عملية تُترجم مباشرة في السلوك اليومي للمريد، معتبراً أن التزكية الحقيقية لا تتحقق إلا عبر الممارسة والمجاهدة.

لذلك، يمكن القول إن الغزالي أعطى الأولوية للبعد النظري القائم على الفكر والمقاصد، بينما الكيلاني أعطى الأسبقية للبعد العملي التربوي الذي يستهدف تهذيب السلوك في الحياة الواقعية.

ثالثاً: حضور الفلسفة في فكر الغزالي وغيابها عند الكيلاني:

يمثل الغزالي حالة فريدة في الفكر الإسلامي، إذ جمع بين أدوات الفلسفة وعلوم الكلام والتصوف، فاستثمر المنطق في بناء منظومته الأخلاقية، وسعى إلى التوفيق بين العقل والشرع. وقد ظهر هذا بوضوح في مؤلفاته مثل تهافت الفلاسفة حيث مارس نقداً للفلسفة، لكنه في الوقت ذاته استخدم أدواتها التحليلية في ميزان العمل والمستصفى لتقعيد منهجه الأخلاقي. وهذا يكشف عن حضور الفلسفة في فكره، لا باعتبارها مرجعية مستقلة، بل كأداة مساعدة لفهم النصوص الشرعية وتزكية النفس.

أما الكيلاني، فقد ابتعد عن الجدل الفلسفي والكلامي، واختار منهج الوعظ والتربية المباشر، معتمداً على القرآن والسنة والتجربة الصوفية العملية. فخطابه موجه إلى العامة والخاصة على حد سواء، دون انشغال بالتجريد الفلسفي أو بالمناظرات الفكرية.

ومن هنا يظهر أن الغزالي أدخل الفلسفة في منظومته الأخلاقية باعتبارها وسيلة للتقعيد والتنظير، بينما غابت تماماً عند الكيلاني الذي اكتفى بالمنهج العملي التربوي.

المطلب الثالث: تقييم عام للتصورين وأثرهما في الفكر الإسلامي.

أولاً: أثر الغزالي في بناء أخلاق الفلاسفة والمتصوفة:

لقد ترك الغزالي أثراً عميقاً في الفكر الإسلامي، إذ استطاع أن يزاوج بين المنهج الفلسفي والتصوف العملي في بناء نظرية أخلاقية متكاملة. فبينما انتقد الفلاسفة في تهافت الفلاسفة، إلا أنّه لم يرفض العقل ذاته، بل وظّفه في كتاباته مثل ميزان العمل وإحياء علوم الدين ليضع أسساً عملية للتزكية والتهذيب. وقد تأثر به المتصوفة الذين وجدوا في منهجه توجيهاً لربط السلوك العملي بالأساس الشرعي، كما استلهم منه الفلاسفة المسلمون طريقة الجمع بين الحكمة العقلية والتعاليم الدينية في معالجة القضايا الأخلاقية.

وبهذا أصبح الغزالي مرجعاً مركزياً للفكر الأخلاقي الوسيط، حيث أسهم في صياغة خطاب يجمع بين العمق الفلسفي والبعد الروحي، مما جعل أثره يمتد إلى المدارس الكلامية والصوفية معاً.

ثانياً: أثر الكيلاني في التيار الوعظي والسلوكي في التصوف:

تميّز الشيخ عبد القادر الكيلاني بترسيخ تيار صوفي عملي يقوم على الوعظ والإرشاد المباشر، بعيداً عن الجدل الفلسفي أو الكلامي. فقد اعتمد في خطابه على القرآن والسنة كأساس لبناء المنظومة الأخلاقية، مركزاً على قيم مثل الزهد، التوكل، والورع كوسائل لتزكية النفس وضبط السلوك. وانتشرت مجالسه في بغداد لتصبح مدرسة تربوية قائمة على الموعظة والتربية الروحية، حيث كان يوجه أتباعه إلى التطبيق العملي للأخلاق في الحياة اليومية.

وقد ساهم هذا المنهج في تشكيل تيار صوفي متوازن يجمع بين الالتزام بالشريعة والتجربة الروحية، مما جعل الكيلاني مرجعاً مهماً للطرق الصوفية اللاحقة، خاصة تلك التي أولت أهمية للجانب العملي والتربوي في تهذيب السلوك.

ثالثاً: أهمية التكامل بين المدرستين في النهضة الأخلاقية المعاصرة:

يمثل الجمع بين المنهج الغزالي والمنهج الكيلاني مدخلاً ضرورياً لفهم وتطوير الخطاب الأخلاقي الإسلامي في الواقع المعاصر؛ فالغزالي قدّم رؤية فلسفية ومعرفية معمّقة للأخلاق، تُبرز العلاقة بين العقل والشرع، وتمنح البناء الأخلاقي أساساً نظرياً متماسكاً. في المقابل، ركّز الكيلاني على البعد العملي والتربوي من خلال الوعظ والإرشاد وتزكية النفس، مما جعل خطابه أكثر قرباً من عامة الناس وواقعهم اليومي.

إنّ التكامل بين هذين المسارين – التنظيري الفلسفي عند الغزالي، والعملي السلوكي عند الكيلاني – يتيح إعادة بناء منظومة أخلاقية متوازنة تستجيب للتحديات الراهنة، سواء في مواجهة النزعات المادية التي تهدد القيم الروحية، أو في تقديم نموذج عملي للتربية الأخلاقية في المجتمعات الإسلامية. ومن ثمّ فإن استلهام فكر المفكرين معاً يمنح مشروع النهضة الأخلاقية بعداً تكاملياً يجمع بين العمق الفكري والتطبيق العملي.

الخاتمة:

وأخيراً وبعد الانتهاء من هذا البحث توصلتً إلى العديد من النتائج والتوصيات، والتي منها:

أولاً: النتائج:

1. انطلقت المنظومة الأخلاقية لكل من الغزالي والكيلاني من المرجعية الإسلامية المشتركة، حيث يشكّل القرآن الكريم والسنة النبوية أساس كل فضيلة وسلوك أخلاقي.
2. الغزالي جمع بين المنهج العقلي الفلسفي والتصوف، مع التركيز على تحليل النفس ومراتب الفضائل، بينما الكيلاني ركّز على المنهج العملي التربوي والوعظي لتطبيق الأخلاق في الحياة اليومية.
3. كلا المفكرين أكّد على تزكية النفس والباطن كشرط أساسي لصدق القول والعمل، واعتبروا أن النية والإخلاص والمجاهدة والورع عناصر مركزية في بناء الشخصية الأخلاقية.
4. توجد فضائل أخلاقية مركزية مشتركة بينهما مثل الصدق والإخلاص والتواضع والزهد والصبر والتوكل، والتي تُشكل أساس منظومتهما الأخلاقية.
5. الغزالي أعطى الأولوية للبعد النظري والتحليلي للأخلاق، مع استخدام الفلسفة كأداة لفهم النصوص الشرعية، بينما الكيلاني أعطى الأولوية للبعد العملي والتربوي الذي يهتم بتطبيق الأخلاق في السلوك اليومي.
6. التوكل والصبر يشكّلان ركائز أساسية في تزكية النفس، حيث يركز الغزالي على ضبط السلوك العقلي، ويهتم الكيلاني بالبعد الروحي والوجدان.
7. امتد أثر الغزالي إلى الفلاسفة والمتصوفة عبر الجمع بين الفلسفة والتصوف، بينما أثر الكيلاني بشكل مباشر في التيار الوعظي والسلوكي، وأسّس تياراً صوفياً عملياً مستنداً إلى الممارسة اليومية.
8. يوفر الجمع بين منهج الغزالي النظري والمنهج الكيلاني العملي نموذجاً متكاملاً يمكن الاستفادة منه في النهضة الأخلاقية المعاصرة، حيث يجمع بين العمق الفكري والتطبيق العملي.

ثانياً: التوصيات:

1. يُنصح بالاعتماد على الجمع بين العمق الفكري الغزالي والبعد العملي الكيلاني في تصميم برامج التربية الأخلاقية الحديثة.
2. تطوير مناهج تعليمية وبرامج تربوية تهدف إلى تنمية الصدق، والإخلاص، والتواضع، والزهد، والصبر، والتوكل في نفوس الطلاب والمجتمع.
3. الاستفادة من التجربة التصوفية العملية لدى الكيلاني والغزالي لتعليم مهارات ضبط النفس والمجاهدة الروحية كجزء من التربية الأخلاقية.

4. دعم الدراسات المقارنة بين المفكرين الإسلاميين لتعميق الفهم النظري والعملي للأخلاق، وربطها بالتحديات المعاصرة.
5. اعتماد أساليب عملية تربوية ووعظية مستوحاة من منهج الكيلاني، مع إدماج التحليل النظري الذي أرساه الغزالي، للوصول إلى سلوك أخلاقي متوازن في المجتمع.
6. تطبيق المبادئ الأخلاقية المشتركة بين الغزالي والكيلاني في المناهج والأنشطة التعليمية والدورات التثقيفية لتعزيز السلوك القويم.
7. استخدام منظومة القيم الأخلاقية كأساس لمواجهة النزعات المادية والانحرافات الاجتماعية، وتحقيق النهضة الأخلاقية في المجتمعات الإسلامية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الكرام البررة

ثبت المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم.

أولاً: الكتب العلمية:

1. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ) دار المعرفة – بيروت، د.ط (د.ت).
2. الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم- دمشق، ط5 (1420هـ- 1999م).
3. الأخلاق، خالد بن جمعة بن عثمان الخرَّاز، اهل الأثر- الكويت، ط1 (1430هـ- 2009م) .
4. أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان (ت: 1435هـ) مؤسسة الرسالة- بيروت، ط9 (1421هـ/2001م) .
5. ايها الولد، ابو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي (ت:505هـ) دار المنهاج- بيروت، ط2 (1435هـ-2014م).
6. تاريخ الفقه الإسلامي، الدكتور عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح- الكويت، ط1 (1402هـ-1982م).
7. تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد البصري البغدادي الماوردي (ت: 450هـ) تحقيق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية – بيروت (د.ت).
8. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت:421هـ) تحقيق: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط1 (د.ت).
9. الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت: 256هـ) تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير- دمشق، ط5 (1414 هـ - 1993 م).
10. الجامع الكبير، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت: 279 هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1 (1996 م).
11. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت:463هـ) تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف- الرياض، د.ط (د.ت).
12. الشيخ عبد القادر الكيلاني ومنهجه في التربية والسلوك، د. عمر محمود حسين السامرائي، تقديم: د. جمال الدين فالح الكيلاني، دار الزنبقة- القاهرة، د.ط (1440هـ-2019م).
13. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط4 (1407هـ/ 1987م).
14. الفتح الرباني والفيض الرحماني، أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الكيلاني (ت:561هـ) المكتبة الأزهرية للتراث- القاهرة، د.ط (1994) .
15. لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت:711هـ) دار صادر- بيروت، ط3 (1414هـ) .

16. المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261 هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه– القاهرة، د.ط (1374 هـ – 1955 م) .
17. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت:502هـ) تحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية– دمشق/ بيروت، ط1 (1412هـ).
18. مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت: 395هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط (1399هـ / 1979م).
19. موسوعة الأخلاق، القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، إشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، د.ط.
20. موسوعة الأخلاق، خالد بن جمعة بن عثمان الخرَّاز، مكتبة أهل الأثر– الكويت، ط1 (1430هـ–2009م).

ثانياً: المجلات العلمية:

1. التحليل السيميوطيقي للخطاب الأخلاقي: دراسة نقدية للأسس والآليات، أ.د. نوال طه ياسين، مجلة الاستغراب– البصرة، سنة النشر (2024) العدد (36).
2. التفسير الإشاري عند الإمام الغزالي من خلال كتابة إحياء علوم الدين دراسة تأصيلية نموذجية في التفسير الإشاري، الدكتور عمر ياسين طه حسين الملاح، مجلة العلوم الإسلامية– تكريت، سنة النشر (2020) العدد (11) المجلد (1).
3. جماليات المعنى التشبيهي في مواعظ الشيخ عبدالقادر الكيلاني، د. اسراء مؤيد رشيد، مجلة التراث العلمي العربي، سنة النشر (2022) المجلد (1) العدد (19).
4. عقيدة أهل السنة في آل البيت رضي الله عنهم، عبد الله إسماعيل، مجلة العلوم الإسلامية، (2017) العدد 37.
5. علم الأخلاق الإسلامي: النشأة والتطور، لخصاصي أمين، مجلة ليكسوس في التاريخ والعلوم الإنسانية، سنة النشر (2024) المجلد (1) العدد (55) .
6. الغزالي والاندلسيين مقاربات فلسفية، د. لسود محمد، المجلة التعليمية– الجزائر، سنة النشر (2023) العدد (1) المجلد (10).
7. فلسفة الأخلاق عند أبي حامد الغزالي، محمد السيد عبد المنصف الوزير، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية (2022) المجلد (3) العدد (2).
8. القيم الأخلاقية في سورة لقمان وأثرها في التوجيه التربوي للأبناء، الدكتورة وفاء كاظم سليم، مجلة كلية العلوم الإسلامية– تكريت، سنة النشر (2021) العدد (21) المجلد (7).
9. نظرات في الأخلاق عند الغزالي، الدكتور عبد الرحمن محمد ربيعين، مجلة العلوم الاسلامية– تكريت، سنة النشر (2024) العدد (15) المجلد (9).
10. النظرية التربوية للامام الغزالي، د. رفاء عبد اللطيف حسن، مجلة البحوث التربوية والنفسية، سنة النشر (2013) مجلد (10) العدد (36) .

ثالثاً: الرسائل العلمية:

1. مصادر فلسفة الإمام أبي حامد الغزالي، الطالبة: حفيظة حمدون، المشرف: د. علي سعد الله ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية– الجزائر، سنة المناقشة (2015).

References

After the Holy Qur'an

First: **Scholarly Books**

1. Al-Ghazali, Abu Hamid Muhammad ibn Muhammad al-Tusi (d. 505 AH), *Ihya' 'Ulum al-Din (Revival of the Religious Sciences)*, Dar al-Ma'rifah – Beirut, n.ed., n.d.

2. Al-Maydani, ‘Abd al-Rahman Hasan Habannakah, *Al-Akhlaq al-Islamiyyah wa Ususuha (Islamic Ethics and Its Foundations)*, Dar al-Qalam – Damascus, 5th ed., 1420 AH / 1999 CE.
3. Al-Kharraz, Khalid ibn Jum‘ah ibn ‘Uthman, Al-Akhlaq (Morality), Ahl al-Athar – Kuwait, 1st ed., 1430 AH / 2009 CE.
4. Al-Zaydan, ‘Abd al-Karim (d. 1435 AH), Usul al-Da‘wah (Principles of Da‘wah), Mu’assasat al-Risalah – Beirut, 9th ed., 1421 AH / 2001 CE.
5. Al-Ghazali, Abu Hamid Muhammad ibn Muhammad ibn Ahmad (d. 505 AH), Ayyuha al-Walad (O My Son), Dar al-Minhaj – Beirut, 2nd ed., 1435 AH / 2014 CE.
6. Al-Ashqar, ‘Umar Sulayman, Tarikh al-Fiqh al-Islami (History of Islamic Jurisprudence), Maktabat al-Falah – Kuwait, 1st ed., 1402 AH / 1982 CE.
7. Al-Mawardi, Abu al-Hasan ‘Ali ibn Muhammad ibn Muhammad al-Basri al-Baghdadi (d. 450 AH), Tashil al-Nazar wa Ta‘jil al-Zafar fi Akhlaq al-Malik, ed. by Muhyi Hilal al-Sarhan and Hasan al-Sa‘ati, Dar al-Nahdah al-‘Arabiyyah – Beirut, n.d.
8. Miskawayh, Abu ‘Ali Ahmad ibn Muhammad ibn Ya‘qub (d. 421 AH), Tahdhib al-Akhlaq wa Tathir al-A‘raq (Refinement of Morals and Purification of Dispositions), ed. by Ibn al-Khatib, Maktabat al-Thaqafah al-Diniyyah, 1st ed., n.d.
9. Al-Bukhari, Abu ‘Abd Allah Muhammad ibn Isma‘il al-Ju‘fi (d. 256 AH), Al-Jami‘ al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar min Umur Rasul Allah ﷺ wa Sunanihi wa Ayyamihi (Sahih al-Bukhari), ed. by Dr. Mustafa Dib al-Bugha, Dar Ibn Kathir – Damascus, 5th ed., 1414 AH / 1993 CE.
10. Al-Tirmidhi, Abu ‘Isa Muhammad ibn ‘Isa (d. 279 AH), Al-Jami‘ al-Kabir (Sunan al-Tirmidhi), ed. by Bashar ‘Awwad Ma‘ruf, Dar al-Gharb al-Islami – Beirut, 1st ed., 1996 CE.
11. Al-Khatib al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmad ibn ‘Ali ibn Thabit (d. 463 AH), Al-Jami‘ li Akhlaq al-Rawi wa Adab al-Sami‘ (Compendium of the Ethics of the Narrator and the Etiquette of the Listener), ed. by Dr. Mahmud al-Tahhan, Maktabat al-Ma‘arif – Riyadh, n.ed., n.d.
12. Al-Samarra’i, Dr. ‘Umar Mahmud Husayn, Al-Shaykh ‘Abd al-Qadir al-Kilani wa Manhajuhu fi al-Tarbiyah wa al-Suluk, presented by Dr. Jamal al-Din Fallah al-Kilani, Dar al-Zanbaqah – Cairo, n.ed., 1440 AH / 2019 CE.
13. Al-Jawhari, Abu Nasr Isma‘il ibn Hammad al-Farabi (d. 393 AH), Al-Sihah: Taj al-Lughah wa Sihah al-‘Arabiyyah, ed. by Ahmad ‘Abd al-Ghafur ‘Attar, Dar al-‘Ilm lil-Malayin – Beirut, 4th ed., 1407 AH / 1987 CE.
14. Al-Kilani, ‘Abd al-Qadir ibn Abi Salih (d. 561 AH), Al-Fath al-Rabbani wa al-Fayd al-Rahmani, al-Maktabah al-Azhariyyah lil-Turath – Cairo, n.ed., 1994 CE.
15. Ibn Manzur, Abu al-Fadl Muhammad ibn Mukarram ibn ‘Ali Jamal al-Din al-Ansari (d. 711 AH), Lisan al-‘Arab, Dar Sader – Beirut, 3rd ed., 1414 AH.
16. Muslim, Abu al-Husayn ibn al-Hajjaj al-Qushayri al-Naysaburi (d. 261 AH), Al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar min al-Sunan bi Naql al-‘Adl ‘an al-‘Adl ‘an Rasul Allah ﷺ (Sahih Muslim), ed. by Muhammad Fu’ad ‘Abd al-Baqi, Matba‘at ‘Isa al-Babi al-Halabi wa Shurakā’ – Cairo, n.ed., 1374 AH / 1955 CE.

17. Al-Raghib al-Asfahani, Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad (d. 502 AH), Al-Mufradat fi Gharib al-Qur'an, ed. by Safwan 'Adnan al-Dawudi, Dar al-Qalam / al-Dar al-Shamiyyah – Damascus / Beirut, 1st ed., 1412 AH.
18. Ibn Faris, Abu al-Husayn Ahmad ibn Zakariyya al-Qazwini al-Razi (d. 395 AH), Maqayis al-Lughah, ed. by 'Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, n.ed., 1399 AH / 1979 CE.
19. Mawsu'at al-Akhlaq (Encyclopedia of Morals), Scientific Department, al-Durar al-Saniyyah Foundation, supervised by Shaykh 'Alawi ibn 'Abd al-Qadir al-Saqqaf, n.ed.
20. Al-Kharraz, Khalid ibn Jum'ah ibn 'Uthman, Mawsu'at al-Akhlaq (Encyclopedia of Morals), Maktabat Ahl al-Athar – Kuwait, 1st ed., 1430 AH / 2009 CE.
21. Second: Scholarly Journals
22. Nawal Taha Yassin, "Semiotic Analysis of Moral Discourse: A Critical Study of Its Principles and Mechanisms," Istighrab Journal – Basra, Issue (36), Year of Publication (2024).
23. Dr. Omar Yasin Taha Hussein Al-Mallah, "Al-Tafsir al-Ishari According to Imam Al-Ghazali through His Book Ihya' 'Ulum al-Din: A Foundational and Exemplary Study in Esoteric Exegesis," Islamic Sciences Journal – Tikrit, Vol. (1), No. (11), Year (2020).
24. Israa Moayad Rasheed, "The Aesthetics of Figurative Meaning in the Sermons of Sheikh 'Abd al-Qadir al-Kilani," Journal of Arab Scientific Heritage, Vol. (1), No. (19), Year (2022).
25. Abdullah Ismail, "The Creed of Ahl al-Sunnah toward Ahl al-Bayt (May Allah Be Pleased with Them)," Islamic Sciences Journal, Issue (37), Year (2017).
26. Lkhasasi Amin, "The Science of Islamic Ethics: Origin and Development," Lixus Journal of History and Human Sciences, Vol. (1), No. (55), Year (2024).
27. Dr. Lasoud Muhammad, "Al-Ghazali and the Andalusians: Philosophical Approaches," Educational Journal – Algeria, Vol. (10), No. (1), Year (2023).
28. Muhammad al-Sayyid 'Abd al-Mun'im al-Wazir, "The Philosophy of Ethics According to Abu Hamid al-Ghazali," Journal of Human and Natural Sciences, Vol. (3), No. (2), Year (2022).
29. Dr. Wafaa Kazem Saleem, "Moral Values in Surah Luqman and Their Impact on the Educational Guidance of Children," College of Islamic Sciences Journal – Tikrit, Vol. (7), No. (21), Year (2021).
30. Dr. 'Abd al-Rahman Muhammad Rabee'in, "Reflections on Ethics in Al-Ghazali's Thought," Islamic Sciences Journal – Tikrit, Vol. (9), No. (15), Year (2024).
31. Dr. Rifa'a 'Abd al-Latif Hasan, "The Educational Theory of Imam Al-Ghazali," Journal of Educational and Psychological Research, Vol. (10), No. (36), Year (2013).

Third: Academic Theses and Dissertations

1. Hafidha Hamdoun, *The Sources of Imam Abu Hamid al-Ghazali's Philosophy*, supervised by Dr. Ali Saadallah, Kasdi Merbah University – Ouargla, Faculty of Humanities and Social Sciences, Algeria, Year of Defense (2015).